

في ركب الوحدة العربية :

## الأدب في فلسطين ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٥ —

—>>><<<—

مع الأدباء الصحفيين من أهل النثر :

قبل أن أمضى في الحديث عن (الأدباء الصحفيين) لا بد لي من البر بوعد قطمته على نفسي في الفصل الماضي ، وهو أن أسرد آثار الأستاذين الأخيرين ، ممن تحدثت عنهم في (الأدباء الملميين) فأقول : إن للأستاذ عبد الله الريماوي — عدا كتيبه المدرسية — كتيباً أخرى عديدة بين عقلية وأدبية ، أذكر منها : (العقل في طريق التكوين) ، وقد ترجمه عن كتاب إنجليزية للأستاذ (جيمس هارفي روبنسن) أسماء (Mind in the Making) وهو شرح مستوفى للحلقات التي تكوّن تاريخ الفكر البشري . ثم كتابه : (من طاليس إلى ناثاناسكي) وييسط فيه بشكل مختصر الأبحاث العلمية في حقل الكيمياء والفيزياء ، التي انتهت أخيراً باكتشاف القنبلة الذرية . ثم كتابه (الحضارة العلمية) ، وفيه يحدد العلم في منابه وأسلوبه ، ويمين مكان العلم وحضارته بين مظاهر الفكر البشري . فيبحث علاقته بالفلسفة والدين والفن والإجتماع ، وينتهي — بعد ذلك — ببحث رسالة العلم للإنسانية .

ومن كتيبه الأدبية : كتابه « مجمع المباشرة » ، وفيه يعالج كثيراً من المشاكل الإجتماعية ، ثم كتابه « تلك الأيام » وهو قصة ييسط في ثناياها الوضع الراهن في البلاد ، وينتقد أساليب التوجيه والناية التي تهدف إليها .

وأما الأستاذ علي شمط ، فله كتابان أخرجهما للناس ، أولهما (من طرائف العلماء) وفيه يتخير عدداً من أساطين العلم ، الذين ساهموا في بناء صرحه الشامخ ، منذ فجر الإنسانية البعيد ، حتى ينتهي إلى علماء النهضة الحديثة في أوربة ، ويمرج في خلال ذلك على بعض أعلام العرب النابهين في هذا الميدان . وأما كتابه

الثاني فهو : « من البنسلين إلى القنبلة الذرية » ، وفيه شرح بأسلوب فريد أخذ المراحل التي اجتازها العلم في تدليل العقبات الكأداء ، وإزالة المراقيل المؤذية من طريق الإنسانية . كما يورد فيه كثيراً من التنبؤات المبهجة ، التي ينتظر أن يحققها العلم عن طريق الذرة ، إذا استمر في سيره قدماً ، ولم يحل بينه وبين ذلك عارض مفاجئ . وللأستاذ شمط — فيما عدا ذلك — كثير من الأبحاث القيمة التي كثيراً ما حاضر أو أذاع بها في الأندية الثقافية في البلاد ، ومن دار الإذاعة الفلسطينية ...

الأدباء الصحفيين :

وحيث أتحدث عن (الأدباء الصحفيين) ، لا بد لي من أن أعود بالقارىء إلى عام ١٩١١ ، لألقه حيال شابين أخوين في مدينة يافا ، قدسها من الثقافة ما كشف لها طريق الجهاد في سبيل وطنها الغلوب على أمره ، فإذا هما يستهدفان خدمته عن طريق الصحافة ، وينشئان من أجل ذلك جريدتهما (فلسطين) ويكون أحدهما وهو الأستاذ عيسى العيسى (رئيس التحرير) ، والآخر وهو الأستاذ يوسف العيسى (المدير المسؤول) ، وتعضي جريدتهما في طريق محفوف بأشواك الممت التركي ، وإرهاق التحكم والاستبداد .

تقد أوقفت الحكومة التركية الجريدة بتهمة (التحريض العنصري) ، وذلك حين نهبت للخطر الصهيوني في تلك الأيام . ولكن الحكمة برأت ساحتها حين أثبتت أن مقاومة الحركة الصهيونية ليس معناه مقاومة اليهود .

وقد توقفت هذه الصحيفة (النصف أسبوعية) حين قامت الحرب الأولى ، ففرق الأخوان ، إذ تزح أحدهما — وهو الأستاذ يوسف العيسى — إلى دمشق ، وهناك اتصل بجلالة المغفور له (الملك فيصل) فيما بعد ، وأخلص له الخدمة ، ثم أسس جريدة يومية ، تناصر الملكية وتعمل من أجلها ، وهذه الجريدة هي : (الف باء) الفراء ، التي ما تزال تصدر في دمشق إلى اليوم ، وهي من أكثر الصحف انتشاراً هناك . وأما جريدة (فلسطين) فقد استأنفت صدورها في يافا بعد الحرب الأولى ، واستمرت نصف أسبوعية حتى عام ١٩٢٩ ، فصدرت يومية ، وما تزال

هذا الأديب في عائلة توارثت ( العلم والأدب والقضاء والافتاء ) كبراً عن كابر ، فأبوه قاضي القضاء الشاعر الناصر الشيخ (سيد الكرمي) ، وأخوه الشاعر الأستاذ (محمود الكرمي) ، وأخوه أيضاً الشاعر اللامع الأستاذ (عبد الكريم الكرمي) المعروف بـ (أبي سلمى). وسأحدث عنهم جميعاً حين أحدثت عن شعراء فلسطين وقد أكل الأستاذ (أحمد شاكر الكرمي) ، ثقافته في الأزهر والجامعة المصرية . وهناك بدأ حياته الأدبية بالكتابة في جريدة (الكوكب) . ثم سافر إلى الحجاز ، وعمل هناك محرراً في جريدة (القبلة) ، ثم رجع منها إلى دمشق ، وحرر هناك في جريدة الفيحاء . ثم أصدر بعد حين مجلة (الميزان) أدبية سياسية . واستمر في إصدارها حتى عام ١٩٢٧ . وإذ ذاك اهتمت به يد اللثمة وهو ما يزال في ريمان شبابه .

وله كتب مطبوعة ومخطوطة . منها كتابه (الكرميات) وهو مجموعة خواطر وآراء كلها قيم ، ثم قصص مترجمة عن الإنجليزية ، منها « خالد » ، وفيها تفصيل عن الصحراء ، وسرد لما يقع في جنباتها . ثم « الورداء الحمراء » وهو صورة من الأدب الخالد ، ومؤلفها الكاتب الذائع الصيت (أوسكار وايلد) . ثم كتب في النقد ، ومعظمها نشرت مادته في الصحف التي عاصرت ، وكانت بتوقيع « قدامة » ، وهو الإسم الذي كان يحتجب وراءه .

وقد كان حجة في اللغة العربية ، يراعى في أسلوبه التحرر من قيود الرجعية والجمود . وحسبك أن يعرف له بفضل سبق علماء أجلاء ، كالمازني والمقاد ، وقد صدر عنهما ذلك في حفل أقيم في مصر ، وشهده أخوه (أبو سلمى) الذي نقل إلى طرفاً من حديثهما عنه حينذاك وثناهما عليه وكالأستاذين خليل مردم بك ، والشيخ المنري في دمشق ، وقد حدثاني عنه حديثاً يستشف منه إعجابهما به وتقديرهما له .

وهناك أدباء صحفيون كانوا هم الطليعة الأولى في هذا الميدان . منهم الأستاذ رشدي شعث صاحب مجلة (النهل) ، ثم الأستاذ جميل البحري صاحب مجلة (الزهور) ، ثم الأستاذ حنا العيسى صاحب مجلة (الأممى) ، ثم الأستاذ خليل بيدس صاحب مجلة (الفائس) . وسوف أحدث عنه مفصلاً حين أحدثت عن (الأدباء القاصيين) إذ هو أحدهم . ثم الأستاذ نجيب نصار صاحب (الكرمل الجديد) ، ثم الأستاذ بولس شحادة صاحب

كذلك . وهي اليوم من أمهات الصحف عندنا ، وصاحبها الأستاذ عيسى العيسى - الذي هو شيخ الصحفيين بلا منازع - يعتبر من الأدباء المدودين في المكان الرفيع .

وأما الأستاذ يوسف العيسى ، فإنه عرف في سوريا كما عرف في فلسطين ، وقد التمع في البلدين معاً . وكان - وما يزال - منذ أصدر جريدته يتولى كتابة افتتاحياتها بنفسه ، ثم يكتب بالإضافة إلى ذلك فصلاً انتقادياً ، يعالج فيه كثيراً من المشاكل الاجتماعية ، ويحمله تحت عنوان (مباهة محل) .

وقد اجتمع لدى الأستاذ من هذه الفصول مجلدات قيمة ، في أبحاث مختلفة . منها ما هو في السياسة ، ومنها ما هو في النقد ، ومنها ما هو في الأدب . وقد حدثني الأستاذ في صيف هذا العام (في دمشق) ، أن لديه إلى جانب ذلك كله مذكرات يحرص عليها أشد الحرص ، ويعنى بترتيبها أعنا عناية ، وقد أسمى بعضها وكان مما نشر في جريدته إبان عهدها الأول .

ومعجبك من (هذا الأستاذ) نشاطه الدائم ودأبه التواصل وهم يرغم هذا الإنصراف الشديد - التي ينصرفه للصحافة - ما تكاد تجلس إليه حتى تلمس فيه روح الأديب الفذ ، إذ ما يتناول القول عن شيء ، حتى يستشهد بحكمة أو مثل أو أبيات من الشعر وإليك شاهداً على ذلك من كتبه الافتتاحية في العدد (٧٣٥٧) وعنوانها: « هذا عتابك إلا أنه مقة » ويقول فيها: « إن أحسن مثل يضرب للصحف في هذه الأيام ، هو ما قاله الرب : (مثل استمان بذقنه) ، وهو الجمل ينقل حمله فيعجز عن القيام به . وهذه حالة الصحف ينقل حملها في جميع أبواب نفقاتها ، فتند عنقها إلى الحكومة ، فتكون (كالستجير من الرمضاء بالنار) .

إن التحكم والاستبداد بمقدرات الصحافة ، أن تطلب جلب الرق فلا يسمع لها بذلك ، وأن تنضب مستودعات الحكومات فلا يجد ما تقدمه للصحف من الرق . أليس هذا ما يسمونه بـ (نقص القادرين على التمام) ؟ ... »

وقد نبهني الأستاذ خليل مردم بك إلى أديب صحفي آخر ، ماش في دمشق شطراً من عمره ومات فيها . وهذا الأديب هو الأستاذ (أحمد شاكر الكرمي) نسبة إلى « طولكرم » وهي بلدة في فلسطين ، عرف أهلها ببنابهم الذي يبلغ حد العناد ، وعروبتهم الأبية الصاخة ، وإعناهم الذي لا يتزعزع . وقد نشأ

وهناك (أيضاً) من الأدباء الصحفيين الأستاذ منيف الحسيني صاحب جريدة (الجامعة الربية) ، ثم الأستاذ عبد الله القليل صاحب (الصراط المستقيم) ، ثم الأستاذ عيسى بندك صاحب جريدة (صوت الشعب) .

وهناك جرائد محتجة كثيرة كان يسام في تحريرها أدباء بارزون أذكر منها : « الكفاح » و « اللواء » و « الشباب » و « المطرقة » .

وقبل أن أختتم الحديث في هذا الفصل لا بد لي من أن أشير إلى أديب فلسطيني اتخذ القاهرة له داراً ، وأسس فيها جريدته : (الشورى) ثم جريدته (الشباب) ، وقد توقفتا كتابهما ، بمد أن كافح فيهما ونافح وجاهد جهاد الأبطال ، وذلك الأستاذ هو الأديب المجاهد (محمد علي الطاهر) رد الله غربته .

(له تكملة)

محمد سليم الرشيد

ماجستير في الآداب والفنون السامية

(مرآة الشرق) ، ثم الأستاذ الشيخ علي الرياحي وهو مؤسس أول مجلة في فلسطين وهي مجلة (بيت المقدس) . وحين أوقفت لأسباب سياسية أسس جريدة (النجاح) . ولكنه شغل عنها بعد ذلك بالسياسة . فسافر إلى الأستانة مبعوثاً عن قضاء القدس وهناك تعرف إلى كثيرين وعرفوا أذبه القيم . وهو شاعر فحل وسأورد نماذج من شعره حين أحدث عن الشعراء .

ثم الأستاذ الشيخ سليمان الفاروق . وهو مؤسس جريدة (الجامعة الإسلامية) التي صدرت عام ١٩٣٣ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ ثم توقفت بعد ذلك بسبب إرهاب الحكومة لها . والأستاذ الفاروق أديب مطبوع ، درس في الأزهر ثم في جامعة الحقوق في الأستانة ، ثم اشتغل بالمحاماة أمداً من عمره ، وله شعر وترجملانه في نظر المعجّين بأدبه (معمري فلسطين) ، وهو خطيب مصقع إذا تحدث (مرتبلاً) ظنفته يتترف من بحر ، وإذا (أملى) حبيته يستلهم من وراء الغيب . وإليك أياتاً من شعره ، تلمس فيها الكثير من سخطه ، وتحسس بين ثناياها بأسه المرير وهي قوله :

ولما رأيت الناس ضلت حلومهم

فلا أحد يهدي ولا أحد يهدى

وشمت وجوه الناس قد غاض ماؤها

فلا وجنة تحمر أو جبهة تندى

ينعت من الإنسان ! إلى وجدته

يصيب الهدى سهواً وينشى الأذى عمداً

وأما نثره فإنه يخلق فيه إلى القروة ، وإليك بعض ما بقوله

في كلمة عنوانها « الضحايا » يفتتح بها عدد الميد للمتاز الصادر في صباح (١٥) آذار « مارس » عام ١٩٣٥ وقد جاء فيها :

« إذا خلا وجه الدهر لأمة ، فبسطت على العالم أجنحتها ،

وسلكت السموب بدينها ومدنيتها ، وحشرتها فيها كأن لم تكن

من قبل ذكرت ، وإذا ملأت أمة الماء عوامهم ، والهواء حوامهم ،

والأرض ذوابل وسوارم ، والتاريخ جسامهم وعظامهم ، حقت

بالميد وجدرت ، وقتت بالفخر إذا افتخرت --- ليس الميدان

تليس كفنك ، وتميد وثنك ، وتجرفني باطلك --- سادراً --- رسنك .

وليس الميد ثوباً تستشيه ، وعملا تؤديه ، أو مثالا تحتذيه .

وإنما الميد حظ الروح ، وهو القلب ، وإنما الميد نجوة ما بين

جزأى التاريخ ، من كد وجهاد ، ورواحة وبعثهم »

## طبعة الرسالة

تقدم كتاب :

## اللغات في القرآن

أخبر به

إسماعيل بن عمرو القرى عن عبد الله بن الحسين

ابن حسنون القرى . بإسناده إلى ابن عباس

للأستاذ

صلى الله عليه وسلم

يطلب من « دار الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٨ عدا أجرة البريد